# أصالة الحوار في القرآن الكريم

# Dialogue Originality in the Glorious Quran


م.د. عقيل رزاق نعمان السلطاني

جامعة بغداد

كلية التربية – ابن رشد

قسم علوم القران والتربية الإسلامية

**Lecturer .Dr. Aqeel R. N. Al-Sultani**

Department of Quranic Sciences
and Islamic Education
Ibin-Rushd College of Education
University of Baghdad



خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin passed research

## ملخص البحث

يكتسب الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة، ومَعلَم بارز في منهجها الرشيد، وللحوار أثر كبير في تأصيل الموضوعية ورد الفكرة المغرضة، كالفكرة القائلة إن الإسلام دين القهر، وإنه انتشر بالسيف كما روجه أعداء الإسلام على الرغم من وجود عشرات الآيات القرآنية التي تأمر بالحوار وتحض عليه وتنوه بقيمته وتقدم نماذج من حوارات الأنبياء والمرسلين.

ويهدف البحث إلى تأصيل فكرة الحوار ومصاديقه في مجموعة مطالب عن مفهوم الحوار، وأركانه، والتفريق بينه وبين الجدل ثم خلص البحث إلى الكشف عن الحوار بوصفه ضرورة، واختتم البحث بمجموعة نتائج تبلورت عن البحث.

## ABSTRACT

The dialogue takes precedence in the Islamic promulgation system; as it is one of the promulgation means and a salient trench mark in its sapient strategy; for the dialogue has a great impact on delving into objectivity and refuting the malicious thought, as it is said that Islam is the religion of coercion and prevails by sword as the Islam opponents spray though there is many a Quranic Ayat embracing, encouraging and lending sense to the dialogue, and a sample from the dialogues of prophets and messengers .

So the present paper tackles the idea of the dialogue and its evidence , its concepts , its angles and the differentiation between the dialogue and argumentation .Ultimately, the paper concludes that the dialogue be considered as essential and reaches certain findings.

## ... المقدمة ...

ان للحوار دورا كبير في تأصيل الموضوعية ورد الفكرة المغرضة، كالفكرة القائلة إن الإسلام دين القهر، وإنه انتشر بالسيف كما روجه أعداء الإسلام. وكيف يصح ذلك والإسلام دين الحوار، قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فلو كان صحيحا أن الإسلام دين السيف لما كان للحوار معنى، وقد حفل القرآن الكريم بعشرات النصوص حول الحوار تأمر به وتحض عليه وتنوه بقيمته وتقدم نماذج من حوارات الأنبياء والمرسلين، وتقدم نماذج من الحوارات التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله مع مختلف أصناف المدعوين من أهل الكتاب والمشركين وغيرهم.

وكثر ورود السياق القرآني الجليل مصدراً بصيغة الأمر (قُلْ) المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يصدع بالحق، وأن يتخذ من القول المبين، والحجة البالغة منهاجاً وغاية، كما في قوله تعالى في تقرير التوحيد ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2]. وأيضا في الرد على المشركين ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ

يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]. وأيضا في الرد على منكري النبوة ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[٤].

نجد ان هذه الايات القرآنية دالة على أصالة الحوار في القرآن الكريم.

## الحوار

بداية يحسن بنا أن نعرض لمفهوم الحوار؛ ليتسنى لنا معرفة مفهوم الحوار، وننطلق لرؤية واضحة، تكشف عن ضرورة الحوار للإنسان والمجتمع.

### مفهوم الحوار

الحوار لغةً: من المحاورة، والمحاورة معناها: مراجعة المنطق والكلام والمخاطبة وذلك مشتق من الحور، وهو الرجوع، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور: التجاوب، يقول العلامة ابن منظور: «الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحُؤُوراً رجع عنه وإليه ... والمُحاوَرَة: المجاوبة، والتَّحاوُرُ: التجاوب، وتقول: كلَّمته فما أَحار إِليَّ جواباً وما رجع إِليَّ خَويراً ولا حَويرَةً ولا مَحُورَةً ولا حِوَاراً، أَي ما ردَّ جواباً ... وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام، والمُحاوَرَةُ: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وقد حاوره والمَحُورَةُ من المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة كالمَحْوَرَةِ»[٥]. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة الحوار في ثلاثة مواضع، اثنان منها في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه، الذي لايملك الكثير من المال، فقال تعالى ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٦]،

وقال تعالى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[٧]. أما الآية الثالثة التي استعملت فيها كلمة الحوار، فقد جاءت في سورة المجادلة، في قصة المرأة التي أتت إلى النبي ﷺ شاكية زوجها إلى الله، قال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٨].

والحوار، اصطلاحاً: هو: الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة بالضرورة[٩].ومن خلال التعريف يتبين أن للحوار أركان لابد من توفراها، وهي:

## الركن الأول: وجود طرفين متحاورين

من الطبيعي لأي حوار يدور بين طرفين، أن يكون إجراؤه في مناخ طبيعي يتحقق من خلاله الوصول إلى نتائج مقبولة، ولكي يكون كذلك فإنه يتطلب جملة من الشروط، وهي[١٠]:

أ) **الحرية الفكرية**: فإذا أردنا للحوار أن ينتهي إلى نتيجة منطقية يسلم بها الطرفان، فلابد أن يملك كل منهما حرية الحركة الفكرية التي تحقق له الثقة بشخصيته المستقلة. فينبغي أن يكون الحوار بعيداً عن تأثير الإرهاب الفكري والنفسي، الذي يشعر معها الطرف الآخر للحوار بالانصهار أمام شخصية المحاور، مما يضعف ثقته بنفسه، ومن ثم يفقد قدرته على الحركة الفكرية فيتقبل كل ما يلقى عليه من أفكار. و يجب أن لا يكون واقعاً تحت تأثير ضغوط أخرى من قبل جهات أعلى تملي عليه القرارات التي تقيد من حريته في عملية الأخذ والرد في الفكرة المطروحة.

وعند التتبع للحوارات التي أجرها النبيﷺ نجد أنه حاول توفير المناخ الطبيعي للأطراف الذين أدار الحوار معهم، فإن استجابوا له واقتنعوا بدعوته فذلك هدف الرسالة، وإلا فإنه قد بلغ الأمانة وقام بواجبه تجاه الآخرين، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾(١١).

ب) **الاستعداد النفسي للاقتناع بالنتائج**: إذ لابد لمن يدخل في عملية الحوار أن يعد نفسه إعداد تاماً لتقبل النتائج التي يؤول إليها الحوار؛ لأن رفض النتائج يقلب الحوار إلى جدل عقيم. ولقد ذكر القرآن الكريم أن هناك شريحة من المجتمع ليس لهم استعداد لهم لتقبل نتيجة المحاورة، فقال ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(١٢). أي أنهم لما أصروا على الكفر وعاندوا وصمموا عليه، فصار عدواً لهم عن الأيمان، والحالة هذه كالكنان المانع. وبتعبير آخر: إن عناد هؤلاء الكفرة اصرارهم في معاداة الحق، يجعل ستاراً على قلوبهم تحول دون ايمانها(١٣).

ج) **عدم التعصب**: فيجب أن يتخلى كلا الطرفين المشاركين بالمحاورة عن التعصب لوجهة نظر مسبقة؛ إذ ان طبيعة الحوار تقتضي الإعلان عن الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة، والأخذ بها. فلابد لمن يريد الدخول في جو حواري يصل من خلاله بالحوار إلى هدفه المرجو منه، أن يهيىء الأجواء الهادئة التي تسمح للتفكير الذاتي بالانطلاق حيث يمثل الإنسان نفسه وفكره، والابتعاد عن أي أجواء انفعالية تعيق الإنسان في أن يقف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير في كل ما يطرح فيستسلم إلى

الجو الاجتماعي المتشنج أو الحماسي إلى فكرة معينة ورفض الفكرة المقابلة ليجد نفسه أنه استسلم لا شعورياً لذلك الجو وهو نتيجة طبيعة، والنتيجة الأكبر في هذا المجال أنه سيفقد استقلاليته في التفكير ليفقد بعد ذلك شخصيته ويكون ظلاً لغيره(١٤).

ولقد عاب القرآن الكريم على أولئك الذين يصَرون على رفض رسالة الله تعالى، بحجة مخالفتها لما عليه أباؤهم فقال تعالى ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾(١٥). فانظر كيف كان منهج القرآن الكريم في ردهم «فقد أثار أمامهم التساؤل حول الإمكانيات الفكرية التي كان يملكها الآباء، وتوجيهم بعملية موازنة بين ما لديهم من تراث وبين ما تأتيهم الرسالات من قبل الله»(١٦). ولقد ورد عن النبي الأعظم ﷺ في ذم التعصب، إذ قال ﷺ: ((**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على العصبية، وليس منا من مات على عصبية**))(١٧). وقوله ﷺ: ((**من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه**(، وفي رواية: (**فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**))(١٨). وقوله ﷺ: ((**من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية**))(١٩). مما يدل على ضرورة ابتعاد الإنسان عن التعصب الأعمى الذي يصده عن الوصول إلى الحقيقة.

## الركن الثاني: وجود قضية يجري الحوار بشأنها

لابدَ لطرفي الحوار من تعرف فكرة التي ينطلقان في طريق إثباتها أو نفيها؛ لأنّ الجهل بها وبتفاصيلها يحول الحوار إلى سفسطة كلامية توصل أطرافها إلى اللجاج الذي يقتصر الأمر فيه على النقاش لنفسه، ويكون هم المتنافسين إحراز غلبة الخصم

دون هدف علمي منشود، ولا شك ان هذا رد فعل طبيعي لكل شخص يجهل موضوع الحوار الذي جاء من اجله ليغطي ضعفه وعجزه في الاستمرار ومعالجة ما يطرح امامه[٢٠]. وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضد الرسالة والرسول من دون أن يكون لها إحاطة في ما تأخذ وفي ما تدع، كما في قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٢١]. يقول ابن كثير: «بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: ولم يُحصّلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهًا ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السالفة ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلمًا وعلوا، وكفرا، وعنادًا، وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم»[٢٢]. وقد نجد في واقعنا الكثير من الذين يدخلون في مجال الصراع من دون أن يعرفوا طبيعة الفكرة التي يدافعون عنها، ولا يعرفون عن أفكارهم وأفكار الآخرين إلا بعض العموميات، وقد يفهمون بعض الأفكار المحدودة في مفهومها، ولكنهم يجهلون ارتباطها ببقية الأفكار التي تجعلها وحدة فكرية متكاملة، وهم بذلك يسيئون إلى الفكرة بالدرجة الأولى ثم تكون النتيجة عكسية، فبدل أن يكون الحوار مقرباً يكون مبعداً.

## الركن الثالث: أسلوب الحوار

تنطلق أهمية النظر في أسلوب الحوار للوصول إلى نتائج ايجابية في عدم إيجاد الحواجز في طريق مواصلة الحوار، فان من ابرز معوقات استمرار الحوار هو الأسلوب. فهناك طريقتان لأسلوب المحاورة، طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلمية التي تعتمد المحبة أساساً فيه، وطريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم

بأشد الكلمات. وقد عبَر القرآن الكريم على الطريقة الأولى –السلمية– بالحسنة، وعلى الطريقة الثانية –العنف– بالسيئة، فقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢٣].

فقد ذكر بعض المفسرين أن معنى الحسنة –ههنا– المداراة، والسيئة الغلظة، ولاشك أن الداعي إذا استعمل أسلوب المداراة فانه يحصل على نتائج جيدة، ويتحول أعداؤك إلى أولياء، ينطلقون معك في ما تفكر فيه وفي ما تعمل له[٢٤]. لذلك فقد بينت النصوص الشرعية أهم المفردات الأخلاقية الأساسية التي ينبغي التحلي بها عند مواجهة الآخر على أساس منطقي[٢٥]، فقال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢٦]. فـ (**الحكمة**) أوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ، وهي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة إيقاظ عقولهم، كخطوة أُولى في هذا الطريق. و (**الموعظة الحسنة**) هي الخطوة الثّانية في طريق الدعوة إلى اللّه تعالى، بالافادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني، وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر دقيق، وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ.

ولقد ذكر بعض المفسرين انّ تقييد (الموعظة) بقيد (الحسنة) لعلّه إشارة إلى أنّ النصيحة إنّما تؤدي فعلها على الطرف المقابل إذا خليت من أيّة خشونة أو استعلاء، وغيرها من التصرفات التي تثير فيه حسّ العناد واللجاجة وما شابه ذلك[٢٧]. وفي

الحقيقة ان (الحكمة) تستثمر البُعد العقلي للإنسان، و(الموعظة الحسنة) تتعامل مع البُعد العاطفي له. و (جادلهم بالتي هي أحسن) هي الخطوة الثّالثة تختص بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه، والأفكار المغلوطة ليكون مستعداً لتلقي الحق عند المناظرة.

ولقد كان أسلوب النبي ﷺ في حواره مع الآخرين مثلاً رائعاً، فهو تارة يعتمد على تفريغ الموقف من الأفكار المسبقة، ويعتبر الشك موقفاً مشتركاً بين الطرفين، يوحي لكل منهما بضرورة إعادة النظر في موضوع الحوار، وهذا ما يجسده قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٨]. إذ أن كل قول إما هدى واما ضلال، لا ثالث لهما نفياً وإثباتاً، ونحن وأنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان، فإما أن نكون نحن على هدى وأنتم في ضلال، وإما أن تكونوا أنتم على هدى ونحن في ضلال، فانظروا بعين الإنصاف إلى ما ألقى إليكم من الحجة، وميزوا المهدي من الضال، والمحق من المبطل[٢٩]. وتارة أخرى يواجه الطرف الثاني بقناعاته المرتكزة لديه فيترك الباب مفتوحاً للأفكار المضادة؛ لتطرح نفسها من جديد، لتثبت أنها أهدى سبيلاً، وهذا ما يوضحه قوله تعالى ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٠].

## الحوار والجدل

قد يجري حوار بين طرفين وليس بينهما صراع في تبادل الأفكار، وقد يجري حوار بين طرفين، ولكن بينهما صراع في تبادل الأفكار، يهيمن عليه أجواء التوتر الفكري والنفسي والكلامي، فالحوار في هذه الصورة يسمى (الجدل). ولذلك عرف الجدل بأنه: «إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما

من الإشارة والدلالة»[٣١]. والجدل قد يكون محموداً في مواضع مثل قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣٢]. وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣٣]. وقد يكون مذموماً مثل قوله تعالى ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[٣٤]، وهذا الجدل حوار لا طائل من ورائه[٣٥]؛ وعليه تحمل الروايات التي نهت عن الجدل، إذ قال النبي ﷺ: ((**ما ضل قوم بعد هدي إلا أوتوا الجدل**)) ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(*)[٣٧].

ويدل على هذا ما ذكره الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام في تفسيره، إذ قال: ذكر عند الامام الصادق عليه السلام الجدال في الدين وأن رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الامام الصادق عليه السلام: ((**لم ينه عنه مطلقا، لكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله تعالى يقول** ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣٨]، **وقوله تعالى** ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٣٩]. فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرمه الله تعالى، وكيف يحرم الله الجدال جملة، وهو يقول: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[٤٠]، قال الله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤١]، فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن.

قيل: يا ابن رسول الله فما الجدال بالتي هي أحسن، والتي ليست بأحسن؟ قال: **أما الجدال بغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة، لأنك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم، وعلى المبطلين، أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف ما في يده حجة له على باطله، وأما الضعفاء منكم فتعمى قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل، وأما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له، فقال الله حاكيا عنه** ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٤٢]، فقال الله في الرد عليهم ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٤٣]. فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم، فقال الله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أفيعجز من ابتدئ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾، إي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ويستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر، ثم قال ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٤٤]، أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم، والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي؟ قال الصادق عليه السلام: **فهذا الجدال بالتي هي أحسن، لان فيها قطع عذر الكافرين، وإزالة شبههم، وأما الجدال بغير التي هي أحسن بأن تجحد حقا لا يمكنك**

**أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق فهذا هو المحرم لأنك مثله: جحد هو حقا وجحدت أنت حقا آخر**، فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله أفجادل رسول الله ﷺ؟ فقال الصادق عليه السلام: **مهما ظننت برسول الله ﷺ مهما ظننت برسول الله ﷺ من شئ فلا تظن به مخالفة الله أو ليس الله تعالى قال** ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، **وقال** ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، **لمن ضرب الله مثلا، أفتظن أن رسول الله ﷺ خالف ما أمره الله به، فلم يجادل بما أمره الله، ولم يخبر عن الله بما أمره أن يخبر به**[٤٥].

## ضرورة الحوار

لا يمكن لأي حضارة أن تعيش بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى، أو أنها لم تتفاعل معها. ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطي، تأخذ ما يتفق مع طبيعة البنيان العقلي والفكري للأمة، وتعطي ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال، وبطبيعة الحال، فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الفكر، والنشاط الإنساني المتصل، الذي بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض. ثم أن العالم هو أقرب ما يكون إلى (منتدى) عالمي لحضارات متميزة، تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو (مشترك حضاري عام). وأيضاً فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً. الأمر الذي يستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة، لا لمجرد الحفاظ عليها، رغم أهميته، إنما لأسباب وطنية، وعقدية، تلعب دورها، في إنهاض أمم كثيرة من كبوتها وتراجعها، لما لهذه الخصوصيات من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، في معركة الإبداع، ولما للتعددية الحضارية من دور في إثراء مصادر العطاء العالمي.

إن العناصر الخارجية ضرورة حتمية، لا تستغني عنها أي حضارة، مهما سمت وارتفعت، إنها تمتزج، لتكون وإياها صيغة جوهرية تختلف من تراث إلى آخر، وهذه العناصر الخارجية، تأتي بطريق الاقتباس الإرادي المباشر المقصود. والاقتباس والنقل، عملة متداولة بين الشعوب قاطبة، فكل حضارة أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل، فالنقل، ليس وباء وإنما هو غذاء، والاستعارة ليست عاراً، وإنما هي فخار. فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب، إنما هي ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لا خطر فيها ولا خوف منها.

فالتقاء الحضارات -وهو مَعْلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وتفاعل هذه الحضارات عندما تلتقي- لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه، لكنه تم دائما وأبداً، وفق هذا القانون الحاكم: التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام، تفتح له الأبواب والنوافذ، بل ويطلبه العقلاء، ويجدون السعي في تحصيله، وبين ما هو خصوصية حضارية، يدققون -في حذر- قبل استلهامه وتمثله. ويعرضونه على معايير حضارتهم، لفرز ما يقبل منه ويتمثل، من ذلك الذي يرفضونه، لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الإعتقادية. ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخما من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام وهذه القيم كفيلة عند استثمارها، بأن تجعل الأمة الإسلامية في وضع، يسمح لها بأن تنمي فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض في بناء حضارة إنسانية، ومما هو معروف أنه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم في الحضارة الإنسانية، وإنما ذلك العمل الذي ينمي الحضارة، وينطلق من الإنسان للإنسان.

## ... الخاتمة ...

وبعد هذه الجولة المتواضعة في البحث عن أصالة الحوار في الفكر الإسلامي، نخلص إلى أهم النتائج، وهي:

١. يكتسب الحوار أهميته البالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة، ومعلم بارز في منهجها الرشيد؛ إذ للحوار الدور الكبير في تأصيل الموضوعية ورد الفكرة المغرضة.

٢. أن للحوار أركانا لابد من توفراها، وهي: وجود طرفين متحاورين، ووجود قضية يجري الحوار بشأنها.

٣. إن الحوار اعم من الجدل؛ لان مراجعة الكلام بين طرفين سواء أكان بينهما صراع في تبادل الأفكار أم لم يكن، يسمّى حواراً، ولكن إذا كانت مراجعة الكلام قائمة على أساس بين طرفين فالحوار في هذه الصورة يسمى (الجدل).

٤. إن تبادل الثقافات الايجابية بين الحضارات الكبرى قائم على أساس الحوار الهادف، ومواجهة الثقافات الهدامة للإنسان والمجتمع قائمة على أساس الحوار في الوقت نفسه.

---

١. سورة البقرة: الآية (٢٥٦).
٢. سورة الرعد: الآية (١٦).
٣. سورة سبأ: الآية (٢٤-٢٧).
٤. سورة سبأ: الآية (٤٦-٥٠).
٥. لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الأفريقي(ت٧١١هـ)، ط، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م: ٤/ ٢١٨.

٦. سورة الكهف: الآية (٣٤).
٧. سورة الكهف: الآية (٣٧).
٨. سورة المجادلة: الآية (١).
٩. ينظر: الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد عبد الله الضويان، ط١، الرياض- دار الوطن: ١٧.
١٠. ينظر: الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، السيد محمد حسين فضل الله، ط٥، بيروت، دار الملاك: ٦٨-٨٠.
١١. سورة يونس: الآية (١٠٨).
١٢. سورة الإنعام: الآية (٢٥-٢٦).
١٣. ينظر: التفسير الكبير -مفاتيح الغيب-، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت): ١٢/ ١٨٧.
١٤. أنظر: الحوار، أسسه، مقوماته: سلسلة مفاهيم فكرية، العدد الاول، تصدر عن مؤسسة النبراس، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م: ١٠.
١٥. سورة الزخرف: الآية (٢٢-٢٤).
١٦. ينظر: الحوار في القرآن: ٨٠.
١٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د ت): ٢/ ٢٣٢.
١٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م:٢/ ٣٠٨.
١٩. م، ن: ٢/ ٣٠٨.
٢٠. ينظر: الحوار، أسسه، مقوماته: سلسلة مفاهيم فكرية، العدد الاول، تصدر عن مؤسسة النبراس، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م: ١١.
٢١. سورة يونس: الآية (٣٩).
٢٢. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ط٢، الاستقامة، مصر ١٩٥٤م:٤/ ٢٦٨.
٢٣. سورة فصلت: الآية (٣٣-٣٥).
٢٤. ينظر: التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق: احمد حبيب قصير، ط١، مطبعة ونشر مكتبة للإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت: ٩/ ١٢٦.

٢٥. الأمثل في تفسير القران المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م: ٨/ ٢٦٦.
٢٦. سورة النحل: الآية (١٢٥).
٢٧. الأمثل في تفسير القرآن المنزل:٨/ ٢٦٦.
٢٨. سورة يونس: الآية (١٠٨).
٢٩. ينظر: الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، ط، قم، منشورات جماعة المدرسين: ١٦/ ٣٧٥.
٣٠. سورة يونس: الآية (١٠٨).
٣١. الكافية في الجدل:٢١.
٣٢. سورة النحل: الآية (١٢٥).
٣٣. سورة العنكبوت: الآية (٤٦).
٣٤. سورة غافر: الآية (٥).
٣٥. أنظر: الحوار في القرآن:٥٧-٦٠. * سورة الزخرف: الآية(٥٨).
٣٦. مسند احمد، احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مصر، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ: ٥/ ٢٥٢؛ سنن ابن ماجه، القزويني محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الفكر، للطباعة، بيروت. (لا، ت):١/ ١٩؛ سنن الترمذي: الترمذي أبو عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط١، مطبعة ونشر دار الفكر، بيروت١٤٠٣هـ: ٥/ ٣٧٨؛ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ ٢/ ٤٨٦.
٣٧. سورة غافر: الآية (٥).
٣٨. سورة النحل: الآية (١٢٥).
٣٩. سورة البقرة: الآية (١١١).
٤٠. سورة البقرة: الآية (١١١).
٤١. سورة يس: الآية (٧٨).
٤٢. سورة يس: الآية (٧٩-٨٠).
٤٣. سورة يس: الآية (٨١).
٤٤. تفسير القرآن المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ) تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ط١، مطبعة مهر، قم ١٤٠٩هـ: ٢٤٢-٢٤٣.

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

١. الأمثل في تفسير القران المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م.

٢. التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق: احمد حبيب قصير، ط١، مكتبة الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي.

٣. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ ط٢، مصر ١٩٥٤م.

٤. تفسير القرآن المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ) تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ط١، مطبعة مهر، قم ١٤٠٩هـ.

٥. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية.

٦. الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد عبد الله الضويان، ط١، الرياض، دار الوطن.

٧. الحوار في القرآن، قواعده -أساليبه- معطياته، السيد محمد حسين فضل الله، ط٥، بيروت، دار الملاك.

٨. الحوار، أسسه، مقوماته: سلسلة مفاهيم فكرية، العدد الأول، تصدر عن مؤسسة النبراس، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٩. الحوار، أسسه، مقوماته: سلسلة مفاهيم فكرية، العدد الأول، تصدر عن مؤسسة النبراس، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٠. سنن ابن ماجه، القزويني محمد بن يزيد (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الفكر، للطباعة، بيروت. (لا، ت).

١١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د ت).

١٢. سنن الترمذي: الترمذي أبو عيسى بن سورة (ت:٢٧٩هـ) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط١، مطبعة ونشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

١٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٤. لسان العرب لابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الأفريقي (ت٧١١هـ) ط١، دار صادر، بيروت ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

١٥. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٤٠٥هـ) تحقيق: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

١٦. مسند احمد، احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) مصر، المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ.

١٧. الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ط١، قم، منشورات جماعة المدرسين.